الدكتور طه حسين يحدث «الآداب» عن

• ادب المعركة • حركة الترجمة في لبنان
• الأدب والسياسة • الشعر العربي الجديد
• شخصية الأدب العربي • الواقعية في القصة

في ناحية نائية عن جو القاهرة الصاخب الذي يعج بالحيوية والتحفز ، حيوية شعب استيقظ واعياً متلهفاً للعمل في جميع الميادين بغية حياة حرة كريمة ، يقوم منزل الدكتور طه حسين . وقد اطلق الدكتور على « فيلته » هذه الواقعة في منطقة الأهرام اسم « رامتان » تيمناً باسم منطقة في بلاد الحجاز تدعى « الرامة » . انك تدخلها فتستقبلك غرفة كبيرة واسعة خصصها الدكتور لكتبه الكثيرة التي تنتشر على جدار الغرفة كلها ، تدخلها فيعتريك شعور غريب ، لا يمكنك ان تحس معه باي نوع من الفراغ الذي يحدثه في نفسك دخول غرفة لم يستقبلك فيها بعد صاحبها ، بل انت تحس بجو تملأه الحيوية المنبعثة من تلك الكتب التي تقفز من على ارصفتها تريد ان تحتل مركزها في الوجود ؛ ان مئات الأشخاص تعيش هنا ولا يعوقها عن الأنطلاق الا ان تمد يدك اليها مصافحاً. ويظل ذلك الشعور مسيطراً عليك حتى ينبهك صوت الدكتور مرحباً.

لم يكن لي بد ، قبل ان افاتحه باي موضوع ، من استفسار عنه وعن السيدة زوجته ، تلك السيدة التي يدين لها ادب العميد باشياء كثيرة . وعلى ذكر زوجته بدا عليه القلق. انها تشكو أزمة نفسية شديدة ألزمتها منذ أيام الفراش وكان من اسبابها ذلك العدوان الغاشم الذي انزلته القوات الفرنسية المتآمرة مع بريطانيا واسرائيل على ارض مصر. لقد كانت السيدة مسرح صراع نفسي عنيف تجاه موقف فرنسا السياسي هذا . فمعلوم انها فرنسية الأصل وما يزال في نفسها الحنين الى وطنها الأم ، الوطن الذي شهد طفولتها وقسماً من صباها وتاريخها ، وهي مع ذلك تعيش في مصر ، وطنها الثاني الجديد الذي شهد ايضاً تاريخ زوجها وماضيه وحاضره ، ذلك الزوج الذي من أجله هجرت بلادها. انها تحب ولاشك كل ما يحب ، وتحب مصر لنفسها ايضاً وهي التي شهدت ما شهدت من ايام مرت عليها . وتجاه الحق الصارخ الذي يؤيد مصر كان لا بد للسيدة طه حسين من ان تستنكر هذا العمل الذي قام به بعض محترفي السياسة من الفرنسيين . ثم تحول هذا الأستنكار الى هجوم شديد صارخ ثم الى تأمل اخذ يحز صامتاً في نفسها تكشف عنه حالتها القلقة تلك . وهكذا اصبح دور اديبنا اليوم ان يهدئ زوجته ويخفف من حدة انفعالاتها بدلا من ان تخفف هي عنه .

وعلى ذكر المعركة ووقعها في النفوس قفز الى خاطري رأي كان الدكتور قد ادلى به الى احدى المجلات المصرية وفيه يقول : إن الادب الذي انتجته معركة مصر الأخيرة ادب لا قيمة له .

ولاشك في ان تصريحاً كهذا ومن ناقد كالدكتور طه حسين يثير كثيراً من الاهتمام. وقد سألته ان يوضح لي ذلك فابتسم وقال وكأنه بذلك يسخط على فريق من اولئك الصحفيين الذين يحملون كلامه على غير محمله او يشوهونه :

— « لم اقل هذا الكلام كما روي عني في الصحف وانما قلت اني لم اكد اعرف من شعر قيل اثناء الموقعة في سيناء وبورسعيد إلا الأناشيد التي كان الراديو يذيعها . وان هذه الأناشيد قد اراحتنا من هذيان المغنين . على ان الراديو قد اخذ يعود الى هذا الهذيان . وهذه الأناشيد نفسها ليست ادباً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة وانما هي وحي اصدرته الحماسة الوطنية وينقص اكثرها الأناة والتجويد . »

وبذلك يكون الدكتور قد أبعد عن نفسه نقد هذا الأدب تاركاً شأنه للتاريخ الذي سيحكم عليه. غير انه يعتقد ان الأدب الأنساني الحقيقي الذي كرسه التاريخ الأدبي لم ينشأ في فترة مر أصحابها فيها بمعركة او ثورة كانت تجتاح بلادهم . لقد ظهرت تلك الآثار بعد فترة طويلة نتيجة لأختمار هذه الحوادث في النفوس . وقد اعطى امثلة على ذلك ما قدمته فرنسا وروسيا من آثار انسانية خالدة كانت حوادثها نتيجة لثورتها ، نتيجة لم تظهر باجلى مظاهرها الفنية الا بعد فترة طويلة .

وهنا سألت الدكتور عن مشكلة اثارتها هذه المعركة الأخيرة بشكل حاسم ، وهي مشكلة العلاقة بين الأدب والسياسة . فعلى الأديب ككل مواطن مخلص ، واجبات يجب ان يؤديها لوطنه خاصة في فترة كتلك الفترة التي تمر فيها بلادنا اليوم . فما مدى ارتباط الأدب بالسياسة ؟

وقال الدكتور : « لم أفهم لهذه الخصومة معنى ، فاتصال الأدب بالسياسة قديم في جميع الأمم التي كانت لها حضارة ونشأت فيها الأحزاب السياسية . وقد كان أرستوفان اديباً فذاً وكان تمثيله الفكاهي يتصل بسياسة الأحزاب في أثينا اوثق الصلة وأقواها . وشعراء الخوارج والشيعة والأمويين والزبيريين والمرجئة ، كلهم قد وقفوا شعرهم

قضايا الفكر العربي المعاصر

على السياسة او كادوا يقفونه عليها . والشعر السياسي في اوروبا الحديثة اعرف من ان يذكر واكثر من ان يحصى . والمهم في الشعر السياسي وفي الأدب السياسي كله ان يكون صادق اللهجة يستمد قوته من حرارة ايمان من ينتجه . »

وتابع طه حسين يقول :

— « إن هذه الخصومة المعاصرة لا موضوع لها ولامصدر لها فيما أعلم إلا ان الذين يختصمون حول هذاالموضوع ينسون القديم ولا يفكرون في الحديث . وحيث توجداحزاب سياسيةوتثار بينها الخصومات يوجد الأدب السياسي ليس في ذلك شك ولا نزاع .

طه حسين

ونحن نعلم ان ارسطاطليس قد اتقن دراسة الخطابة السياسية في كتابه « الخطابة » . ولولا السياسة ما خطب علي ولا زياد والحجاج ولا غيرهم من الخلفاء والأمراء .

ونحن ندرس الخطابة السياسية في الجامعات ونأخذ الطـلاب بفهمها وتذوقها . ولكن المختصمين في هذا الموضوع الآن يمرون بهذا كله لا يكادون يعلمون من امره شيئا . »

والدكتور طه حسين بالرغم من حرصه على الأستفادة من القديم لا يتقيد به ، بل يدعو الشباب الى الأنطلاق من قيوده شرط ان يراعي في ذلك الأحساس الصادق والتعبير الفني الموفق لهذا الأحساس ، وهذا ما تميزه من رده على سؤال وجهته اليه يتعلق بحركة الشعر الجديد المتمرد على عمود الشعر العربي المعروف والمعتمد على التفعيلة :

— « لا ارى بهذا التجديد في اوزان الشعر وقوافيه بأساً ، ولا على الشباب المجددين ان ينحرفوا عن عمود الشعر . فليس عمود الشعر وحياً قد نزل من السماء .. وقديماً خالف ابو تمام عن عمود الشعر وضاق به المحافظون اشد الضيق ، وهو عندي زعيم الشعر العربي كله غير منازع .

« والشعر تعبير عن العاطفة وما يثور في النفوس من دقائق الشعور وما يؤثر فيها من صور الجمال وحقائق الحياة على اختلافها . وهو من اجل ذلك يتأثر بالعصر وبالبيئة وبظروف الحياة التي تختلف على مر الزمان . ولست ارفض الشعر لأنه انحرف عن العمود القديم او خالف عن الأوزان التي احصاها الخليل ، وانما ارفضه حين يقصر في أمرين أولهما الصدق والقوة وجمال الصور وطرافتها ؛ وثانيهما ان يكون عربياً لا يدركه فساد اللغة ولا الاسفاف في اللفظ . وقديماً قال ارسطاطليس : « يجب قبل كل شيء ان نتكلم اليونانية » . فلنقل نحن يجب قبل كل شيء ان نتكلم العربية » .

واذ رأيت حماسة الدكتور تتجه نحو هذه اللغة العربية الفنية الجزلة وحرصه على الرجوع الى الماضي لأنارة بعض خطوط الحاضر والمستقبل ، سألته توضيح رأي كان قد عرض له في كتاب « مستقبل الثقافة في مصر » يذكر فيه ان ارتباط مصر باوروبا اكثر من ارتباطها بغيرها من البيئات العالمية الأخرى . واليوم يتجه المثقفون العرب الى تأكيد فكرة ارتباط مصر ثقافة

اطلبوا « الآداب »

في الدار البيضاء (مراكش)

من

مكتبة الزيات

شارع مناستير ١١٨ — ١١٦ — ١١٤

وحضارة بالعروبة بالشخصية العربية . »

واحني الدكتور رأسه قليلا الى أمام ثم أجاب :

« — ان مصر بلد من بلاد البحر الابيض المتوسط ، وهو متأثر دائماً بهذا البحر وبكل الحضارات التي نشأت على جانبيه قديماً وحديثاً ، ليس له من ذلك بد . والأدب العربي نفسه قد تأثر بالبحر الأبيض المتوسط وحضاراته منذ اقدم عصوره حين جعل العرب يخرجون الى الشام في الجاهلية ويتصلون بحضارة اليونان والرومان . ولم يكد الأدب العربي يستقر على سواحل هذا البحر في آسيا وافريقيا واوروبا حتى اغرق في التأثر بهذه الحضارات واشتد تأثيره فيها. فالعروبة نفسها الآن وقبل الآن متصلة بل متأثرة بحضارات هذا البحر ومؤثرة فيها.

واستطرد مؤلف « مستقبل الثقافة في مصر » يقول :

« — والمعلوم ان الادب الحي لا يرفض ثقافة مهما يكن مصدرها . فنحن نقرأ الآداب الاوروبية ونعيش على حضارة البحر المتوسط ، ولا يمنعنا ذلك من ان نقرأ ما يأتينا من الهند او الصين . وإذا كانت حضارة البحر قد تغلغلت في اعماق الشرق حتى بلغت الهند وافغانستان وعبرت المحيط الاطلنطي حتى حضرت العالم الجديد في اميركا الشمالية والجنوبية فليس غريباً أن تبلغ أعماق الصحراء العربية منذ العصر الجاهلي نفسه. »

وهنا انتقل الدكتور طه الى ضرورة اطلاع القارئ العربي على روائع الآثار العالمية أياً كان مصدرها ليستكمل في ذلك اسباب النقص في ثقافته ، وشدد على ضرورة ترجمة بعض هذه الآثار الى العربية ليتسنى للقارئ العربي الذي يجهل اللغة الأصلية ان يقف على روعتها . وعلى ذكر الترجمة سألته عن رأيه في حركة الترجمة التي تنشط في هذه الفترة في لبنان . فأجاب بصراحة :

« — انها خصبة ، وإن كنت انكر من امرها شيئين : احدهما انها تتسم بالسرعة وقد يورطها ذلك في بعض ما تؤخذ به من الخطأ ، والثاني انها تمضي على غير نظام ، فتهمل اشياء قد يكون من الخير الا تهمل ، وتعجل الى اشياء قدلا تكون الحاجة اليها شديدة . »

وإن كان حرصنا يتجه الى تنمية العلاقات الفكرية المجدية بين ثقافتنا وبين الثقافات الاجنبية ، فان حرصنا هذا ليتضاعف في امكانية تنمية هذه الثقافة لكي تشمل شتى اجزاء وطننا العربي . ولا يجد الدكتور طه وسيلة لتنمية تلك العلاقات الثقافية إلا « في انتشار التعليم الصحيح حتى يبلغ اعماق الشعب العربي في مواطنه كلها . ويومئذ تقوى الصلات الثقافية بطبعها دون ان تحتاج الى من يقويها او يلتمس الحيل الى تقويتها. واننا لنقوي اتصالنا بالثقافات الأجنبية على اختلافها لا يصدنا عن ذلك صاد ، ولا يغرينا بذلك الا اننا قد تعلمنا تعلماً صحيحاً فنزعنا بطبعنا الى الاستزادة من المعرفة في كل يوم بل في كل ساعة بل في كل لحظة . فلنعلم الشعب العربي تعليماً صحيحاً ولا ننتظر من ذلك الا خيراً . »

وقبل ان ننتهي من الحديث سألته عن رأيه في تلك الحركة الواقعية التي برزت في القصة القصيرة والرواية في انتاج الشباب فاجاب :

— لا ارى في هذه الواقعية اكثر من انها رجوع الى الأدب الصحيح كما عرفناه في حياة القدماء من العرب وغير العرب ، ومن المحدثين الأوروبيين . الانحراف عن الواقعية في الأدب العربي لم يأت الا في عصر متأخر حين اجدبت القلوب والعقول . ولم يجد الادباء شيئاً يقولونه ، فعمدوا الى التكلف واكتفوا بالالفاظ يعيدون فيها ويبدئون ، ويذهبون في ذلك مذاهب ينبو عنها ذوق المحدثين ولم يعرفها ذوق القدماء .

وتوقف الدكتور طه لحظة ليقول بعد ذلك :

— فأما الانحراف عن الواقعية في اوروبا فله اسباب ومقتضيات اخرى يحتاج تفصيلها الى كلام كثير ، والمثقفون حقاً يعرفونها كما اعرفها ، ومنهم من يعرفها اكثر جداً مما اعرفها انا .

وكان قد مضى على هذا الحديث زهاء ساعة ، فرأيت ان استأذن الاديب الكبير بالذهاب ؛ ولكني طمعت منه ، مع ذلك ، بسؤال اخير : « ماذا تحب ان تقول لشباب الادب اليوم ؟ »

فسارع يجيبني ، كأنما كان ينتظر مني السؤال ، وكأنه قد اعد له جوابه :

— لا شيء على الاطلاق ، فهم لا يسمعون ما يقال لهم ... كما اني كنت لا اسمع ما يقولون .

ولكنه سرعان ما ضحك وقال :

« — لا أحب ان اقول لهم إلا ما أقوله لنفسي دائماً ، وهو ان تؤخذ امور الثقافة والأدب على انها جد لا لعب ، وعلى ان الانسان لا يكون انساناً حقاً إلا إن أحس الحاجة الى الثقافة والمعرفة احساساً قوياً في كل وقت ، ولا يكون انساناً منتجاً الا اذا كره الرضى عن نفسه ، ونظر دائماً الى امام ، واقتنع بأنه مقصر مهما يبلغ من الرقي . »

وما ان انتهى الدكتور من حديثه حتى نهضت شاكرة مودعة بعد ان طلبت منه ان يحمل تحيتي الى قرينته النبيلة كما سأحمل بدوري تحيته الى اسرة « الآداب » وقرائها .

عائدة مطرجي ادريس